

## قوة الخيال في الأدب والنقد القديم عند العرب

### THE POWER OF IMAGINATION IN ANCIENT LITERATURE AND CRITICISM AMONG ARABS

Nahla EBAJİ

Gaziantep University, Arabic Language and Rhetoric, Gaziantep /Türkiye

Reference Ebaji, N. (2020). "قوة الخيال في الأدب والنقد القديم عند العرب", Academic Social Resources Journal, (e-ISSN: 2636-7637), Vol:5, Issue: 15; pp:317-324.

#### الملخص

الخيال ملكة وقوة إنسانية تفسر التجربة الإبداعية في الأدب والشعر والفنون عامة , ويُعدُّ الخيال من أهم عناصر الإبداع الأدبي إضافة إلى اللغة , العاطفة , الأسلوب , الفكر و المعنى والخيال مرتبط ارتباطاً وثيقاً "بالعاطفة" مما يؤكد أهميتها معاً في تأسيس مفهوم الأدب والشعر معاً. يُعدُّ الخيال ضرورياً للإبداع والمبدع والمتلقي فهو يؤلف بين الصور الفنية ويعمل على إعادة تشكيلها وإخراجها بأبهى صورة , حيث يتجاوز الصور البلاغية إلى ما هو أبعد وأعمق من ذلك فيترك أثراً في النفس عن طريق التشكيل الفني للغة. فالإبداع منشؤه النفس الإنسانية وقد كان الاعتقاد سابقاً بأن شياطين الشعر هي صاحبة الإلهام فلكل شاعر شيطان يقول الشعر على لسانه بتأثير قوة خفية غامضة وقد ساد هذا الاعتقاد عند العرب من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي , أما فلاسفة اليونان فيفسرون هذه القدرة بأنها قوى خفية مرتبطة بالآلهة . وكما اتسم شعر الشاعر بالطبع أي " بالفطرة " كان ذلك الشعر يعبر عن حالة قائله وكلما كان الشاعر أصدق وأعمق في العاطفة بعيداً عن المبالغة والتهويل كان تأثيره في نفوس القراء أكبر وأعظم وأبهى. فعندما يلتقي الصدق الداخلي الأخلاقي معالصدق الفني عند شاعر أو أديب مبدع ينتج عنه أدب سام يرتقي بأخلاق العامة لبناء مجتمع متكامل أخلاقياً ومعاشياً وبهذا الشكل يكون الأدب قد حقق أسمى غاياته وهي نشر الخير والحق والجمال والفضيلة بأبهى صورة ممكنة . ولكي يتحقق هذا في الأدب لابد للمبدع من أن تحلق روحه في فضاء الحرية وعوالم أخرى تنشده الفضاءات الشاسعة وهذا التحليق يتحقق بالخيال . فالخيال بمثابة الروح تنبث أريجها في عوالم النص الأدبي شعراً ونثراً , فالمنطق يأخذك من مكان محدد إلى مكان آخر ولكن الخيال وحده قادر على أخذك إلى أي مكان آخر فالخيال يطوق العالم . فالخيال أهم من المعرفة لأنه صانعها وهو القادر على بناء المستقبل مقترنا بالعمل الجاد الدؤوب , ويُعدُّ الخيال من إحدى أهم وسائل تغيير الواقع التي يملكها الإنسان وإحدى أهم النعم التي وهبها الله لبني البشر . أما في مجال البلاغة فقد أدرك البلاغيون سابقاً أنّ التفاوت والتفاضل بين الأديباء في استخدامهم للغة لا يرجع قطعاً إلى درجة إجادة اللغة ذاتها فقط وإنما يرجع إلى تلك الملكة في النفس الإنسانية التي تمكنه من الإبداع والابتكار ليقدم الفكرة بطريقة توظف الفكر وتثير الوجدان وتبعث في المتخيلة عدداً من الصور والأحاسيس ألا وهي "الخيال" فلولا الخيال لما حلفت أرواحنا في عوالم الأدب والفن معاً ولا بقيت هذه الآثار الأدبية حيّة خالدة على مرّ الأزمان تنتقلها الأجيال جيلاً بعد جيل ولا تموت هذه الأرواح بموت أصحابها وستظلُّ اللغة في حاجة إلى الخيال لأنه الكنز الأبدي الذي يمدّها بالحياة والقوة والشباب فلا أدب بدون خيال .

#### ABSTRACT

Imagination is a faculty and a human power that explains the creative experience in literature, poetry and the arts in general. Imagination is one of the most important elements of literary creativity in addition to language, passion, style, thought and meaning. And fiction is closely related to "emotion", which confirms its importance together in establishing the concept of literature and poetry together. Imagination is necessary for creativity, and the recipient as it combines artistic images and works to reshape them and bring them out in the brightest image, as it transcends rhetorical images far beyond and deeper than that and leaves an impact on the soul through the artistic formation of language. Creativity originates from the human psyche. Previously, the belief that the demons of poetry are the inspiration. Every devil poet says poetry on his tongue with the influence of a mysterious invisible force. This belief prevailed among Arabs from the pre-Islamic era until the Abbasid era. As for Greek philosophers, they interpret this ability as invisible forces linked to the gods. Whenever the poet's poem was of course "innate", that poetry was a reflection of the state of its sayinger, and the more the poet believed the deeper and deeper in the emotion, away from exaggeration, the greater his influence in the hearts of readers. When the moral inner honesty meets the artistic honesty of a poet or creative writer resulting in toxic literature that elevates the morals of the public to build a morally

integrated and pensionable society and in this way the literature has achieved its highest goals, which is to spread goodness, truth, beauty and virtue in the best possible way. In order for this to be achieved in literature, it is necessary for the creator to have his soul circling in the space of freedom and other worlds seeking vast spaces, and this flight is achieved by imagination. Imagination is like a soul that broadcasts its fragrance in the worlds of the literary text, poetry and prose, because logic takes you from one specific place to another, but only imagination is able to take you to any other place, as imagination encircles the world. Imagination is more important than knowledge because it is the creator of it and he is able to build the future in conjunction with hard and diligent work, and imagination is one of the most important means of changing reality owned by man and one of the most important blessings that God gave to human beings. As for the field of rhetoric, the rhetoric previously realized that the difference and differentiation between writers in their use of language is certainly not due to the degree of mastery of the language itself only, but also to that faculty in the human soul, which enables him to be creative and innovative to present the idea in a way that awakens thought and stimulates conscience and sends in a number of imaginations Pictures and sensations, namely "imagination" Without imagination, our souls would not have flown in the worlds of literature and art together, nor were these literary relics alive forever over time, passed down generations to generation after generation, and these souls would not die with the death of their owners, and the language would still need imagination because it is the eternal treasure that provides it with life, strength and youth There is no literature without imagination.

**Key words:** Imagination, literature, poetry, Arabic, language, Greek philosophers, text, rhetoric

### \*المقدمة

تعريف الأدب العربي القديم :

مفهوم الأدب عامة هو تراث الأمة المكتوب بلغتها , وإذا كان مخصصا محددًا فيراد به التعبير الفني شعرا أو نثرا عن فكرة أو عاطفة أو خيال .

وهذه الأشياء الثلاثة إنما هي ثمرة التجربة النفسية التي يحسّ بها الإنسان فيعبر عنها , وقديما قال العرب : " إنّ الشعر سجل العرب " إنّ الأدب على العموم سجل لهم وليس الشعر وحده , فالأدب العربي الجاهلي نتيجة صادقة لبيئته , وحياتهم الطبيعية جعلتهم يقصدون إلى أغراض معينة استلزمها الحياة الصحراوية في البداية , فعواطفه وعقليته وأسلوبه نتيجة لنوع حياته فالحياة عنده قاسية مجدبة وهو في هذه الحياة المجدبة كان يغني وفقا لقانون التعويض يغني لنفسه ويشرك في غنائه ناقله أو جملة ومن هنا نشأ أولا "الرجز" وهو الشعر الذي يساير نغمات سير الجمل ثم تطور الرجز إلى القصائد المختلفة الأوزان .

فالأدب هو صياغة فنية لتجربة بشرية وقد أجمع النقاد تقريبا على أن الأدب يتكون من عدة عناصر هي : الخيال , اللغة , العاطفة , الأسلوب , والمعنى .

فالخيال هو ملكة من ملكات العقل و بها يستطيع الأديب أن يخلق صوراً تنعم على النص صوراً جذابة , وتمنح القارئ واسطة لتوسيع آفاقه , فهو كالنهر الجميل المتدفق في صدر الإنسانية . وبه يستطيع الأديب أن يؤلفوا صورهم . فملكة الخيال قوة لا بد منها للأديب , وذات قيمة كبيرة في الأدب إن لم تكن أقوى الملكات .

يقول الشاعر بوديلير : إن الصفة الأساسية التي يتصف بها الفنان هي الخيال , فالخيال في الفنون الجميلة هو سيد الملكات , فهو ضرورة من ضرورات إنتاج المنجز الفني عند مبدعه , بل يتجاوز الحدود عندما يحسبه آخرون ضرورة من ضرورات التذوق الجمالي وفهم معنى المنجز .

فكل فن من الفنون يصعب فهم صورته المختلفة من دون تخيل فالتخيل يهب الحياة للجماذ والحركة للسكون . وقد لاحظ علماء البلاغة تفاوت الأديب والشعراء في استخدام اللغة من الناحية الجمالية حتى ليبلغ بعضهم في هذا درجة الروعة التي تثير الإعجاب وبذلك اهتموا إلى أنّ الفضل في هذا التفاوت لا يعود إلى درجة إتقان اللغة وإجادتها فقط وإنما يعود إلى تلك الملكة في النفس الإنسانية التي تتجسد في الأدب بأبهى صورها .

ومن هنا بدأت أهمية دراسة الخيال وبيان وظيفته وأهميته في التراث الأدبي والنقدي معا .

### الفصل الأول : أهمية الخيال في الأدب والنقد العربي القديم

الخيال ضروري للإنسان لا بد منه ولا غنية عنه، ضروري له كالنور والهواء والماء والسماء، ضروري لروح الإنسان ولعقله ولشعوره مادامت الحياة حياة والإنسان إنساناً<sup>1</sup>.

إنّ الإنسان شاعر بطبعه في جبلته يكمن الشعر وفي روحه يترنم البيان ولكن الناس يتفاوتون في إدراك الجمال والشعور به على حسب قوه هاته الغريزة أو ضعفها .<sup>2</sup>

فالإنسان الأول حينما كان يستعمل الخيال في جملة وتراكيبه لم يقصد منه ما نسميه نحن الآن " المجاز " بل كان يستعمله وهو على ثقة تامة بأنه قد قال كلاماً حقيقياً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فهو حينما يقول مثلاً : " ماتت الريح " أو " أقبل الليل " لم يكن يعني منه مجازاً وإنما كان يعتقد أن الريح قد ماتت حقاً وأن الليل قد أقبل حقاً بألف قدم وألف جناح .

فالخيال ينقسم إلى قسمين : قسم اتخذه الإنسان ليتفهم به مظاهر الكون وتعابير الحياة ، وقسم اتخذه لإظهار ما في نفسه من معنى لا يفصح عنه الكلام المألوف ومن هذا القسم الثاني تولد الخيال اللفظي الذي يراد منه تجميل العبارة وتزويقها ليس غير .<sup>3</sup>

ويرى أبو القاسم الشابي أنّ الخيال ينقسم إلى قسمين :

1 – قسم اتخذه الإنسان لا للتزويق وإنما لفهم سرائر النفس وخفايا الوجود ، فهذا الخيال نلح من خلفه ملامح الفلسفة وأسرة الفكر وبهذا يتشكل الفن الذي تندمج فيه الفلسفة بالشعر ويزدوج فيه الفكر بالخيال .<sup>4</sup>

أما " الخيال الفني " فيعبر به عن ذات نفسه لأنّ فيه تتطبع النظرة الفنية التي يلقيها الإنسان على هذا العالم الكبير ، ويسميه أبو القاسم الشابي " بالخيال الشعري "

2 – أما القسم الثاني فيسميه " الخيال الصناعي " لأنه ضرب من الصناعات اللفظية ، ونوع آخر يسمى " الخيال المجازي " لأنه مجاز على كل حال سواء قصد منه المجاز أم لم يقصد منه كما عند الإنسان القديم .)

فالصورة التي ينتجها الخيال تبدو مستندة إلى المعطى الحسي ، ومتجاوزة إياه ، لأن الصورة ماهية المحسوس إنها لا تطابقه تماماً ولكنها متنسقة مع المنطق الذي أبدعها ، وغير مستقلة بنفسها لاشتقاق عناصرها من المحسوس .<sup>5</sup>

أما الفلاسفة العرب والمسلمين فلم سابقاً للكلام عن الخيال ضمن إطار متأثر أشد التأثير بالنسق العقلاني الأرسطي بشكل حرفي ، ومن ناحية الصبغة الاصطلاحية نجد شيوع مصطلحي " التخيل " و " التخيليل " في غياب شبه تام لمصطلح " الخيال " ومن الناحية المفهومية نجد تداخلاً بينه وبين التوهم في اضطراب والتباس شديدين ، ماجعل العلاقة أشد ضبابية بين التخيل والإبداع الشعري لصالح " التخيليل " كمهمة سيكولوجية وحيدة للشعر تتصل بالمتلقي حصراً .<sup>6</sup>

فابن سينا يسمي الخيال المصوّرة معتبراً إياه ثاني قوى الحس الباطن ومكانها مقدم الدماغ ، يقول : " القوة التي تحفظ ما قبّل الحس المشترك من الحواس الجزئية وتبقى فيه بعد غيبة المحسوسات " .<sup>7</sup>

فكما رأينا أن النزعة الفلسفية قد قللت من قدرات الخيال وأعلت من شأن العقل كوسيلة للمعرفة والوصول إلى أسرار الوجود / الحقيقة ، فإن النزعة الصوفية تجاوزت هذا النزوع وأمنت بأن العقل وحده غير كاف لنيل تلك المعرفة وملاسته حقائق الوجود ، فكان رهانها الجديد يعوّل على القلب وعليه كثرت مصطلحات مثل : حديث القلب والمكاشفات والمشاهدات عند أصحاب التجلي الصوفي ، وقد احتل الخيال مركزاً هاماً في خطابهم كقول ابن عربي :<sup>8</sup>

" الرفع من قيمة الخيال وإعلاء شأنه ، فهو يعتبره أعظم قوة خلقها الله ، يقول : " ما أوجد الله أعظم منه – أي الخيال – منزلة ولا أعم حكماً يسري حكمه في جميع الموجودات والمعدومات من محال وغيره ، فليس للقدرة الإلهية فيما أوجدته أعظم وجوداً من الخيال منه ظهرت القدرة الإلهية – وهو حضرة المجلّى الإلهي في القيامة وفي الاعتقادات .

والخيال عند ابن عربي وسيلة للكشف وإدراك المعرفة يقول :<sup>9</sup>

" جعل الله الخيال نوراً يدرك به تصوير كل شيء..... فنوره ينفذ في العدم المحض فيصوره وجوداً فالخيال أحق باسم النور... فنوره لا يشبه الأنوار وبه تدرك التجليات "

وقال أيضاً : " من لا يعرف مرتبة الخيال فلا معرفة له جملة واحدة ، وهذا الركن من المعرفة إذا لم يحصل للعارفين فما عندهم من المعرفة رائحة ، فمن العلم الذي يختص به أهل الله تعالى معرفة الكشف الخيالي "

(1 , 2 , 3) - \* أبو القاسم الشابي / الخيال الشعري عند العرب / الدار التونسية للنشر 1978 م / ص 11 , 12 , 13

4 - \* د . عاطف جودة نصر / الخيال مفهوماته ووظائفه / الهيئة المصرية العامة للكتاب عام 1948 م / ص 24

5 - \* د . عاطف جودة نصر / الخيال مفهوماته ووظائفه / الهيئة المصرية العامة للكتاب عام 1948 م / ص 24

6 - \* محمد الديهاجي / الخيال وشعرياته المتخيل بين الوعي الآخر والشعرية العربية / المكتب المركزي فاس / مطبعة بلال في فاس / ص 23

7 - \* ابن سينا / النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية الإلهية / تحقيق محمد عثمان / مكتبة الثقافة الدينية / ص 201

8 - \* محي الدين بن عربي / الفتوحات المكية / دار المعرفة ببيروت / تحقيق عبد العزيز سلطان المنصوب / ص 448

9 - \* محمود الغراب / الخيال عالم البرزخ والمثال " من كلام الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي " ص 309

## الفصل الثاني : قوة الخيال في الشعر وعلاقته بالإبداع

يقول ابن طباطبا : " الشكل بالنسبة للعمل الإبداعي جسمه والمعنى روحه لذلك كان على الشاعر أن يحسنه جسما ويحققه روحا " .  
"10"

فالشعر استكشاف دائم لعالم الكلمة , واستكشاف دائم للوجود عن طريق الكلمة .<sup>†</sup>

فالإبداع ينمو في فضاء الحرية , وهذه العلاقة بين الإبداع والحرية تعبر عن نفسها في التجدد المستمر لأفعال الإنسان عبر صيرورة التاريخ , فالمبدع الحر ينشد الفضاءات الشاسعة ويعمل على تجسيد الحرية فيما يبدعه .

فالإبداعات الفنية من شعر وأدب ورسوم وغيرها تضيء على النفوس السعادة والمتعة وتجعلها مرهفة سعيدة , فالإبداع هو تعبير عن إنسانية الإنسان ووسيلة للرفي بها .

فالشاعر المبدع أصبح متميزا عن بقية الصناعات فلا عجب إن أصبحت الموهبة الإبداعية تعد شيئا فريدا ونادرا وقد كان الأصمعي يقول : "11"

" فرسان الشعر أقل من فرسان الحرب " فالمبدع شخص يفكر من خلال اللغة , فما يرد على الشاعر في لحظات الإبداع يرد من منابع يجهلها الشاعر نفسه ويكون وروده فجائيا وهذا ما يعبرون عنه بالإلهام لكن لحظات الإلهام ليست كل شيء في عملية الإبداع الفني إنما الإبداع عملية معقدة غير متجانسة , ولا يمكن تفسير ظاهرة الإبداع من داخل الشاعر فحسب "12"

" فالحساسية الخاصة " و " القدرة الانطباعية " و " القدرة الفائقة على البناء " أو " القدرة الفائقة على الحدس " وسائر الخصائص لتفسير الإبداع الشعري .

فالشرط الأول لقيام الشاعر هو ظهور علاقة معينة بين الشاعر وبين مجتمعه .

إن الفن هو التعبير عن شعور , أو هو التكافؤ الكامل بين العاطفة التي يحسها الفنان وبين الصورة التي يعبر بها عن هذه العاطفة , أي بين الحدس والتعبير . "13"

فمفهوم الملكة الشعرية عند العرب يقوم على ركيزتين أساسيتين : هما تحقق الملكة الفطرية أو الغريزة الذاتية عند المبدع أو الشاعر وإشباع هذه الملكة بالمكتسبات الثقافية والخبرية , من خلال الملكة الاكتسابية علما بأن الملكة الفطرية قادرة على أداء دورها بمفردها دونما حاجة إلى الملكة الاكتسابية , في حين أن الملكة الاكتسابية لا تقوى على تقديم أي نشاط إبداعي دون تحقيق الغريزة أو الملكة الفطرية . "14"

ويرى أفلاطون أن الروح تدرك الجمال ولكن الحواس تدرك انعكاسات ظلال الجمال وأن الإلهام يأتي من عند الآلهة واعتبر أفلاطون الحب الدافع المحرك للفيلسوف نحو الحق وكذلك للفنان نحو الجمال ويقصد بالحب هنا الحب الأفلاطوني " حب الروح لا الجسد " أي الحب المنزه عن أية شهوات , أما الجمال عند أرسطو فهو يرى أن الأشياء تبدو جميلة نتيجة تناسقها ونسبة الوفاق والوحدة بين أجزائها . "15"

ويرى ابن قتيبة أن للبيئة الجميلة أثرا في استثارة المبدع , فهي منبع خالد من منابع الإلهام .

وسئل ذو الرمة عما يفعل إذا ما انتقل دونه باب الشعر , فأجاب : كيف ينقل دوني وعندي مفتاحه , قيل له : وعنه سألتك ما هو ؟ قال : الخلوة بذكر الأحباب . "16"

وقال أبو عبيدة عن الوليد بن روح قال : مكث النابغة زمانا لا يقول الشعر , فأمر يوما بغسل ثيابه وعصب حاجبيه على عينيه فلما نظر إلى الناس قال : "17"

المرء يأمل أن يعيـش	وطول عيش قد يضره
تفنى بشاشته ويبقى	بعد حلو العيش مره
وتخونه الأيام حتى	لا يرى شيئا يسره
كم شامت بي إن هلكت	وقائل لله دره

10 - \* ابن منظور / لسان العرب / دار المعارف حققه الأستاذ عبد الله علي الكبير والأستاذ محمد أحمد الشاذلي / ص 203

11 - \* الباقلائي / إعجاز القرآن / تحقيق السيد أحمد صقر / الطبعة الثالثة / دار المعارف بمصر 1971 م / ص 203

12 - \* د . مصطفى سويف / الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة / دار المعارف بإشراف الدكتور يوسف مراد / ص 138

13 - \* بينيدتو توكروتشه / المجمل في فلسفة الفن / ترجمة وتقديم سامي الدروبي / ص 14 , 16

14 - \* محمد بن مريس بن سعد الحارثي / مفهوم الملكة الشعرية عند القدماء / دار المنظومة / الناشر : جامعة أم القرى السعودية / ص 103

15 - \* جرار / فلسفة الجمال والتذوق الفني / أماني غازي / ص 112

16 - \* ابن رشيق القيرواني / العمدة / وانظر د . عبد الرؤوف مخلوف : ابن رشيق / نقد الشعر / ص 184

17 - \* ابن قتيبة الدينوري / الشعر والشعراء / حققه وضبط نصه نعيم زرزور / دار الكتب العلمية 1985 م / الطبعة الثانية / ص 545

إنّ الخيال هو الثوب الذي يلبسه المبدع لفكرته أو لمعناه , فالخيال مرفودا بالعقل يقدم خصوصيته للشاعر تنبثق من خلال انعكاسات الأشياء في حسه وفي نفسه .<sup>‡</sup>

فالصدق في الأدب يتحقق إذا انطلق من عاطفة المبدع وانفعاله , وهو إذا كان يخرج من القلب فإنه يصل إلى قلب المتلقي فيشعر بما شعر به المبدع وينفعل معه والصدق هنا يتحقق ولا يتم هذا إلا بالخيال أو الصور الفنية واستعمال الكلمات بأسلوب معين وكم من موضوع واحد يتناوله عشرات الشعراء ولكننا نحس الصدق لدى هذا ونرى التكلف لدى ذلك , ونرى الطبع – وهو من مقومات الصدق – عند هذا ونرى الصنعة أو التقليد – وهما نقيضان للصدق لدى الآخر .

يقول حسان بن ثابت : "18"

وإنّما الشعرُ لبُّ المرءِ يعرضُهُ  
على المجالس إن كَيْسًا وإن حُمْقًا  
وإنّ أحسنَ بيتٍ أنتَ قائلُهُ  
بيتٌ يُقالُ إذا أنشدتُهُ صدَقًا

أما الفرزدق فيرى أنّ كرام النفوس هم الذين يصدرون الشعر الكريم , كقوله : "19"

وخيرُ الشعرِ أكرمُهُ رجال  
وشرُّ الشعرِ ما قالَ السَّعيدُ

أما أحمد أمين فقد قال : "20"

" والحق أن الفن لا قيمة له في ذاته , إنما قيمته أنه يمدنا باللذة الراقية ومن الحمق أن تعدّ فنانا راقيا من لم يصبغ فنه بالصبغة الخلقية ولا يمكن أن يقاس الأدب الراقى بمقياس اللاخقية "

ومن المهم أن نشير إلى أنّ أبرز صفات الخيال أنه : "21" يكسر الحاجز الذي يبدو عصيا بين العقل والمادة , فيجعل الخارجي داخليا , والداخلي خارجيا , ويجعل من الطبيعة فكرا ويحيل الفكرة إلى طبيعة .

وعند تناولنا لمفهوم الخيال نجد أنه توحيد وتكوين جديد للأشياء, أما الوهم لا يعني تشكيل جديد "22". وعنصر الخيال يعتمد بالأساس على المخزون العقلي لأنواع الصور والمناظر والمحسوسات والتجارب جميعا "23". وقد بين الجرجاني أن الخيال "قوة تحفظ ما يدركه الحس بحيث يشاهدها الحس المشترك كلما التفت إليها فهو خزنة للحسالمشترك" "24"

وإنّ خيال المبدع حافظ جمالي روحي , فالخيال قرين الشعور , وهو الذي ينتج الصورة تلك الصورة التي تنشأ بحافظ ما , لتؤدي قيمة معلومة : فبين الحافظ والقيمة تناسب أو مقارنة أي بين عنصر ظاهري وآخر باطني , وهذان العنصران يشكلان التركيبة العقلية للمبدع . ووفق هذه النظرة المتكاملة يظهر لدينا أهمية الخيال للصورة بل أهمية عناصر أربعة "ربما" تشكلت معا أساسا ينطلق الناقد منه لدراسة الصورة وهذه العناصر هي : "العالم المحسوس , والأفكار , والانفعال , والقيمة "

ومن هنا يمكننا أن ننطلق إلى أهمية أن يحقق الشاعر التوافق بينه وبين المجال العام الذي هو فيه وهو الشيء الذي يسعى إليه من وراء استدعائه للصور وقد أسماه النقل الجديد " استجابة تكيفية " "25"

فالشاعر يجعل الوردة تنبت من الجرح , ويجعل القمر صديقه الذي يحكي له عن مغامراته العاطفية . "26"

كقيس بن الملوح فبعد أن توفيت ليلي فإنّ خياله ظلّ يناديها وهي في قبرها قائلا هذه الأبيات الجميلة :

ويا قبرَ ليلي إنّ ليلي غريبةٌ  
بأرضك لا خالٌ لديها ولا ابنُ عم  
ويا قبرَ ليلي ما تضمنت قبليها  
شبيها ليلي ذا عفاف وذا كرمٍ  
ويا قبرَ ليلي غابت اليوم أمها  
وخالؤها والحافظون لها الذم

أما أينشتاين فيرى أن الخيال أهم من المعرفة ويؤكد هذا في مقولته "27" : " الخيال أهم من المعرفة , فالمعرفة محدودة بما نعرفه الآن وما نفهمه , بينما الخيال يحتوي العالم كله وكل ما سيتم معرفته أو فهمه إلى الأبد " ويقول أيضا : " العلامة الأكيدة على العبقرية ليست المعرفة بل الخيال " فالخيال أهم من المعرفة لأنه صانعها .

18 - \* حسان بن ثابت الأنصاري / ديوان حسان بن ثابت / شرحه وكتبه هوامشه وقدم له الأستاذ عبدأ مهنا / دار الكتب العلمية بيروت / 1994 م / ص 169

19 - \* أبو الفرج قدامة بن جعفر / نقد الشعر / تحقيق وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي / دار الكتب العلمية بيروت – لبنان / ص 72, 73

20 - \* أحمد أمين / النقد الأدبي / دار الكتاب العربي بيروت – لبنان / الطبعة الرابعة 1967 م / ص 51

21 - \* د. مصطفى ناصيف/ الصورة الأدبية/ بيروت/ دار الأندلس/ للطباعة والنشر والتوزيع / 1996م/ ص 27

22 - \* الجرجاني / أسرار البلاغة/ بيروت/ دار المعرفة / 1978م/ ص 348

23 - \* ابن سينا/ الشفاء/ بيروت/ دار الثقافة / 1979م / ص 160

24 - \* الجرجاني / علي بن محمد / التعريفات / مادة الخيال / بيروت / دار الكتب العلمية / 1983 م / ص 107

25 - \* عبد القادر الرباعي / الصورة الفنية في النقد الشعري / ص 69, 82, 83, 86

26 - \* جمع وتحقيق وشرح عبد الستار أحمد فراج / ديوان مجنون ليلي / ص 121

27 - \* شيماء بلقاسم / مقالة الخيال أهم من المعرفة قوة الخيال / عن البرت أينشتاين / نشر في عام 2016 م / مجلة العربي / الجزائر

وقد عدَّ بعض أعلام عصر النهضة الأوربية أن الشاعرية غريزة إلهية تنبئ بالمعرفة والحكمة وهذا ما تعكسه دواوين الشعراء إلى أواخر القرن التاسع عشر بما فيها من إجلال للإلهام الشعري الذي يرفع من مرتبة الملهمين ويضعهم في مصاف الأنبياء. "28"§

وبعض الشعراء يتميزون بالصدق الأخلاقي والفني معا , وقد ناقش عبد الفاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة القولين المأثورين "29": "خير الشعر أصدقه" و "خير الشعر أكذبه" وحاول أن يتوسط بينهما ولكنه أخيرا فضل القول الأول , والعقل بعد على تفضيل القبيل الأول وتقديمه وتفخيم قدره وتعظيمه , وما كان العقل ناصره , والتحقق شاهده فهو العزيز جانبه والمنيع مناكبه , وهنالك من الشاعرين من حسن لفظه

وجاد معناه كقول أبي ذؤيب : "30"

والنفس رغبة إذا رغبها  
وكقول أحد الشعراء: "31"

العبد يُقرع بالعصا  
والحرُّ تكفيه الإشارة

وكقول لبيد بن ربيعة:

وما المأل والأهلون إلا ودائع  
ولا بد يوماً أن تُرد الودائع

وقول حاتم الطائي:

فنفسك أكرمها فإنك إن تهن  
عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما

وهذا يعني أنّ الأدب لا بد له من غاية يدعو إليها ويحث على تحقيقها , ولا بد أن يكون ملتزماً بعقائد المجتمع ومبادئه , متصلاً اتصالاً وثيقاً بالحياة , على ألا تطغى أهداف الأدب على الفن فينقلب نصوصاً باردة , أو أدباً كاذباً , بل يجب أن يكون صادقاً في تعبيره مخلصاً في فنه , ولعل أكبر وظائف الأدب خدمة القيم الأخلاقية والفضائل الإنسانية. "32"

والشاعر في سعيه الدائم إلى الحالة الفنية المطلوبة في الشعر (أي الشعر بمثابة مجازاً) يلجأ إلى التشبيه الذي هو أكثر ضروب البيان التي تلفتنا إلى عناصر الجمال في الكون وقد قال ابن سينا "33": "إنّ العرب تشبه إعجاباً بحسن التشبيه "

وقد توقف ابن قتيبة في كتابه " الشعر والشعراء " عند التشبيه كثيراً , في سياق وصف الشعراء بالحسن والإجادة كقوله "34": " فهذا ذو الرمة أحسن الناس تشبيهاً , وأجودهم تشبيهاً , وكان جريراً أحسن الناس تشبيهاً , وذكر إجادة امرئ القيس في التشبيه , فكان أول من شبه الخيل بالعصا والقوة وغير ذلك من صور التشبيه مع دقة إجادته في إصابة المعنى .

فالغرض الأساسي من التشبيه هو : التأثير في النفس وإثارة الذاكرة , والتشويق فيها بجمال الأسلوب وحسن التصوير للمعاني المراد التعبير عنها , وفائدته كما قال العسكري أنه : " يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً " وهو عند ابن الأثير يجمع صفات ثلاثاً : المبالغة والبيان والإيجاز .

أما طريقة كشف الجمال في الطبيعة فيكون من خلال الأسلوب الذي يعتمد على المحاكاة "35" كإحساس القوي الصادق في بيت البحري "36":

أتاك الربيع الطلق يختال  
من الحُسن حتى " كاد أن يتكلما "

وبعد أن عني الناس بالنظر في شؤون الكون وسلوكوا في البحث عن أسرارهِ طريقاً فلسفياً أخذ الخيال الشعري يعمل في الحقائق الفلسفية ويجري وراء الفكر كالمسعف له في تصوير تلك المعاني الغامضة كما تراه في مثل قصيدة ابن سينا في النفس المفتحة بقوله :

هبطت إليك من المحل الأرفع  
ورقاه ذات تعزز وتمتع

§ 28 - \* عبد الحميد يونس/ الأسس الفنية للنقد الأدبي / دار المعرفة / 1958م / ص 78

29 - \* ابن رشيق القيرواني / العمدة وانظر د. عبد الرؤوف مخلوف : ابن رشيق , نقد الشعر / ص 184

30 - \* ابن قتيبة / الشعر والشعراء / ص 12

31 - \* الجرجاني / الوساطة بين المتنبي وخصومه / ص 201 – 206

32 - \* عبد الله أحمد عويشق/ : الأدب في خدمة الحياة والعقيدة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / ص 22 , 23

33 - \* نعيم اليافي / تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث / الناشر: صفحات للدراسة والنشر والتوزيع / 2008 م ص 50

34 - \* ابن قتيبة الدينوري / الشعر والشعراء / ص 84

35 - \* محمد رفعت زنجير / فن التشبيه / ص 366

36 - \* أبو القاسم الشابي / الخيال الشعري عند العرب / ص 35

وقول أبي بكر بن الطفل يصف حال الروح والجسد "37": \*\*

نور تردد في طين إلى أجل فانحاز علوا وخلق الطين للكفن

فالصورة الشعرية ثمرة الخيال يشكلها من المدركات الحسية فيربط بين الأشياء المتنافرة في التشبيه والاستعارة، فتستعيد الأشياء توازنها ويعود إليها انسجامها وهذه من جماليات الصورة التي تركز عليها فثثير العواطف وتبعث على المتعة "38".

#### \* الخاتمة

لقد تناولت هذه الدراسة جانباً من جوانب الخيال وأهميته في الأدب والنقد العربي معاً، وعلاقة الخيال بالإبداع الأدبي وتجسيد هذه العلاقة بإيضاح من خلال جمال الصور الفنية الشعرية وأهمية دور العاطفة إلى جانب الخيال في تجسيد إبداع فني يبرز موهبة وذكاء الأديب كأمر فطري مقترنا بالتدرب والمران لرسم إبداع لا متناهي ينقلنا من عالم المدركات إلى عالم المحسوسات بأسلوب سام وضّاء.

فالخيال مقترنا باللغة والعقل يساهم في إنتاج الإبداع الأدبي الذي يوقظ الفكر ويثير الوجدان، ويبعث في المتخيلة عدداً من الصور والأحاسيس خاصة إن كان هذا العمل الفني مطابقاً للتجربة الذاتية الداخلية للشاعر أو الأديب.

فالخيال إن كان يخلق في فضاء المعرفة والحرية معاً نتج عنه إبداع فني لا متناهي في الفنون أجمعها.

#### \* المصادر والمراجع

- 1 – أبو القاسم الشابي / الخيال الشعري عند العرب / القاهرة الناشر : كلمات عربية للترجمة والنشر 1978 م
- 2 – عاطف جودة نصر / الخيال مفهوماته ووظائفه / الخيال مفهوماته ووظائفه الهيئة المصرية العامة للكتاب /1984 م
- 3 – محمد الديهاجي / الخيال وشعريات المتخيل بين الوعي الآخر والشعرية العربية المكتب المركزي فاس / مطبعة بلال في فاس
- 4 – محي الدين بن عربي / الفتوحات المكية / بيروت / دار المعرفة / تحقيق عبد العزيز سلطان المنصوب
- 5 – محمود الغراب / الخيال عالم البرزخ والمثال / من كلام الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي
- 6 – ابن منظور / لسان العرب / دار المعارف / حققه الأستاذ عبد الله علي الكبير والأستاذ محمد أحمد الشاذلي 1998
- 7 – الباقلاني / إعجاز القرآن الكريم / تحقيق السيد أحمد صقر / الطبعة الثالثة / دار المعارف مصر / 1971 م
- 8 – د . مصطفى سويف / الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة / القاهرة دار المعارف / بإشراف الدكتور يوسف مراد 1981م
- 9 – بينيتو كروتشه / المجلد في فلسفة الفن / ترجمة وتقديم سامي الدروبي / بيروت دار الأوابد / 1964 م
- 10 – محمد بن مريس بن سعد الحارثي / مفهوم الملكة الشعرية عند القدماء / السعودية دار المنظومة / جامعة أم القرى
- 11- أماني غازي جرار / فلسفة الجمال والتذوق الفني / عمان / دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع 2015م
- 12 – ابن رشيق القيرواني / العمدة وانظر د. عبد الرؤوف مخلوف: ابن رشيق / نقد الشعر / مصر / مطبعة السعادة 1955م
- 13 – ابن قتيبة الدينوري / الشعر والشعراء / حققه وضبط نصه نعيم زرزور / بيروت / دار الكتب العلمية / 1985م الطبعة الثانية 2 – 545
- 14 – أحمد أمين / النقد الأدبي بيروت / دار الكتاب العربي / الطبعة الرابعة 1967م
- 15 – حسان بن ثابت الأنصاري / ديوان حسان بن ثابت / شرحه وكتب هوامشه وقدم له الأستاذ عبدأهنا / بيروت / دار الكتب العلمية 1994م
- 16 – قدامة بن جعفر / نقد الشعر / تحقيق وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي بيروت / دار الكتب العلمية
- 17 – مصطفى ناصيف / الصورة الأدبية / بيروت / دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع 1996 م
- 18 – الجرجاني / أسرار البلاغة / بيروت / دار المعرفة 1978م
- 19 – ابن سينا / الشفاء / بيروت / دار الثقافة 1979

\*\* 37 - \* محمد الخضر حسين التونسي / الخيال في الشعر العربي / ص 86

38 - \* جابر عصفور / الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي / ص 24

- 20 – الجرجاني /علي بن محمد التعريفات / مادة الخيال/ بيروت / دار الكتب العلمية /1983م
- 21 – عبد القادر الرباعي / الصورة الفنية في النقد الشعري / دراسة في النظرية والتطبيق / الأردن / دار جرير 2009م
- 22 – جمع وتحقيق وشرح عبد الستار أحمد فراج / ديوان مجنون ليلى
- 23 – شيماء بلقاسم / مقالة الخيال أهم من المعرفة قوة الخيال / عن البرت أينشتاين نشر في عام 2016 م / الجزائر / مجلة العربي
- 24- الجرجاني / الوساطة بين المتنبي وخصومه / تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي / دار إحياء الكتب العربية/ عيسى البابي الحلبي وشركاه 1951 م
- 25 – عبد الله أحمد عويشق / الأدب في خدمة الحياة والعقيدة / بيروت / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1970م
- 26- نعيم اليافي / تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث / دمشق / صفحات للدراسة والنشر والتوزيع 2008م
- 27 – محمد رفعت زنجير/ فن التشبيه في العصر العباسي / الرياض / دار اقرأ للطباعة والنشر والتوزيع 2007م
- 28- جابر عصفور / الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي / القاهرة / دار المعارف 1973م